مصر منذ اربعمائة سنة

(٢)

في سنة ١٤٩٦ م حضر الى مصر سائح المماني يدعى ارنولد هارف طاف في كل البلاد العربية وزار مصر والنوبة والحبشة وكتب رحلاته في اسفار مطولة اكثرها تاريخية . نزل الاسكندرية يزي تاجر وركب في النيل الى ان وصل الى طرانه وزار دير القديس انطونيوس وماريولا ورجع الى مصر فالتقى فيها بمملوك المماني من بلدهِ تعرف بهِ وكان المملوك من المقربين لدى سلطان مصر الشاب الملقب بابي السعادات محمد بن قايتباي . فذكر المملوك امام سيدهِ خبر وصول سائح غريب من بلادهِ فرغب السلطان في ان يراهُ وامرهُ ان يأتي بهِ اليهِ وكان هذا السلطان في الخامسة عشرة من عمرهِ حينما مات ابوهُ واستقر رأي الخليفة وامراء البلاد على توليتهِ حسب وصية ابيهِ الملك الاشرف قايتباي المتوفى سنة ١٤٩٦

قال السائح هارف المذكور « فلما مثلت امام السلطان الشاب سألني بواسطة بعض تراجمتهِ عن بلادي وما اقيتهُ في اسفاري العديدة . وهل انا من رعايا ملك فرنسا فاجبتهُ كلاً . قال وهل لهذا الملك جنود كثيرون وكم عددهم وهل عندهُ مدافع كثيرة وهل هو راغب في الغزو والفتوح وما هي مقاصدهُ عن سوريا ومصر ؟ فاجبتهُ باني لا اعلم شيئاً لانني خرجت من اوربا منذ شهور كثيرة . وقد اضطررت الى الكذب مرغماً مع اني عالم ان شارل ملك فرنسا بعد ان حارب مملكة نابولي واستولى على سيسيليا وكلابريا عزم ان يجهز اسطولاً كبيراً قاصداً الاستيلاء على بلاد فلسطين واسترجاع الاراضي المقدسة . ثم صرفني السلطان بعد ان منحني جواز مرور في كل البلاد الخاضعة للسلطنة المصرية . وهذا السلطان لم يملك سوى سنة ونصف فقتل في الجيزة على اثر فتنة حدثت بين الامراء والرؤساء وملك بعدهُ خالهُ ابو سعيد قانصوه الا انهُ توفي في السنة نفسها . وقام بعدهُ ابو النصر جانبولاد غير انهُ قتل مخنوقاً في قلعة الاسكندرية بعد سنتين من ملكهِ . وخلفهُ طومان باي ولم يملك سوى مائة يوم ففر من القلعة خفية على اثر فتنة ولكن قبض عليهِ وقتل سنة ١٥١٠ وظلت مصر نحو اربع سنين مهداً للفتن والقلاقل بين رؤساء الاحزاب المختلفة حتى جرت فيها الدماء انهاراً وكان كلما جاء سلطان يفتك بالجنود

السلطان قانصوه الغوري

وزراء السلطان

مقتطف مارس ١٩١٧
امام الصفحة ٢٥٩

والامراء والمماليك الذين قاموا عليه وحاربوه وبعد شهر او اكثر يتغلب الحزب الآخر فيفتك بالسلطان وباحزابه والمشايعين له . فضج الشعب والملة من هذه الحال السيئة واجتمعوا مع الامراء والمشايخ والاعيان في جمعية حافلة وقرروا ان يولوا على سلطنة مصر اميراً عاقلاً حكيماً حازماً يرد الامن الى نصابه ويقرر العدل والسكينة في البلاد فاختاروا الامير قانصوه الغوري الداودار الكبير وجعلوه سلطاناً على السلطنة المصرية تحت لقب ابو النصر الملك الاشرف قانصوه الغوري

« وكانت هذه السلطنة واسعة الاطراف شاملة كل بلاد بين النهرين حتى حدود فارس من الشمال وسوريا وفلسطين والبلاد العربية حتى خليج فارس وكل البلاد المصرية والنوبة حتى شواطىء البحر الاحمر وعدن

« واشتهر هذا السلطان بالعدل والحزم واصالة الرأي وعلو الهمة واشتدت سطوته وهيبته الى جميع انحاء البلاد وارسل ملوك اوربا وامراؤها الوفود والسفراء اليه يخطبون وده ويرغبون في تقرير الصلات السلمية معه وانشاء المعاهدات السياسية والتجارية بينهم وبينه واقامت ممالك فرانسا ونابولي وكاتالونيا واراغون وجمهوريات جنوى والبندقية القناصل في مصر والاسكندرية والشام لحماية رعاياهم وتجارهم كما ان هذا السلطان ارسل كثيراً من السفراء والوفود الى ملوك اوربا وبابا رومية لتقرير بعض المعاهدات كما سيأتي بيانه

« فارتقى قانصوه سرير سلطنة مصر بمجده وجهده وحزمه وقوة ارادته وهو جركسي الاصل كان عبداً او مملوكاً للملك الاشرف قايتباي ولما رأى فيه النجابة والذكاء اعتقه وقلده منصب جوردار اي امير على مائة رمح وارسله كاشفاً (مديراً) على بلاد الصعيد . ثم رقاه الى رتبة حاجب الحجاب وجعله قائداً على الف رامح وارسله والياً على حلب وقلده نيابة طرسوس وكيليكية . ثم رافق تومان باي الى دمشق ورجع الى مصر فقلده السلطان وظيفة الداودار الكبير وهي بمثابة الوزير الاعظم ولبث نائب السلطنة ولبث في هذه الوظيفة مدة القلاقل والفتن التي حدثت ، ولرجاحة عقله لم ينتم الى حزب من الاحزاب فاجمع رأي امراء البلاد وعلمائها ورؤسائها على تنصيبه سلطاناً كما تقدم

« فارتقى قانصوه تخت السلطنة والبلاد كلها مضطربة بالحروب والفتن فحدود سوريا الشمالية مهددة بغارات سلاطين الترك واسماعيل شاه الشهير سلطان ايران وصاحب الدولة الصفوية يغير على بلاد بين النهرين والفرات . والبرتوغاليون يغزون ويعرقلون تجارة مصر مع الهند وكانوا يترصدون المراكب المصرية عند رجوعها من الهند الى السويس وهي

مشحونة فينهبونها ثم يغرقونها. وكذلك الاسبان اخرجوا المسلمين من بلاد الاندلس وطردوا اليهود من كل انحاء البلاد فارسل امراء المسلمين وسلاطينهم في المغرب والجزائر وتونس الوفود والسفراء الى السلطان قانصوه يستغيثون به ويطلبون منهُ النجدة والتعضيد. ففكر اولاً في مصادرة التجار الافرنج في بلادهِ واقفال بيت المقدس والاماكن المقدسة دون الاوربيين الاَّ انهُ عدل عن ذلك خوفاً من فرسان رودس وغاراتهم في مراكبهم على ميناء دمياط والاسكندرية ومن غزو البرتوغاليين وتعديهم على المراكب المصرية الذاهبة الى الهند. واحسَّ فردبناند ملك اراغون وايزابلا ملكة قشتيلة (اسبانيا) بعزم قانصوه هذا فارسلا اليهِ انكونت بطرس دانكيرا سفيراً يقرر السلام بينهُ وبين الافرنج. وكان في الاسكندرية وقنصل لدولتي فرنسا وقشتيلة يدعى فيليب دي بيريتز فلما وصل السفير الى هذه المدينة ارسل القنصل رسولاً الى السلطان الغوري بمصر ينبئهُ بوصول سفير اسبانيا ويرجو منهُ ان يرسل اليهِ جواز المرور ويسمح لهُ بالمثول لديهِ. فتاخر السلطان عن اجابة طلب القنصل تبعاً لمشورة بعض تراجمتهِ اليهود وبعض العلماء الحاقدين على اسبانيا لاضطهادها المسلمين ولكنهُ عاد فارسل الجواز. فوصل السفير الى مصر في ١٦ يناير سنة ١٥٠٢ واستقبلهُ ترجمان السلطان في قصرهِ وبعد اسبوع سمح لهُ السلطان بالمثول امامهُ مع رجال حاشيتهِ وكانت المقابلة الاولى رسمية دخل السفير والسلطان جالس على عرشهِ والسيف على فخذهِ وحولهُ قوادهُ وامراء دولتهِ ومماليكهُ فخاطب السفير بلهجة الغضب وانحى باللوم والتقريع على ملكهِ لاضطهادهِ المسلمين. وبعد يومين سمح لهُ بمقابلة اخرى سرية اظهر فيها السلطان كل تلطف ودار بينهما حديث طويل واتفقا على توثيق عرى الوداد بينهما وابرام معاهدة سلمية تجارية بين ممالك اسبانيا وبين سلطنة مصر. وسمح السلطان لملوك اسبانيا وفرنسا وجمهوريات ايطاليا وجنوى والبندقية بترميم كنيسة القبر المقدس في اورشليم وكانت مهددة بالخراب وترميم كنائس واديرة الرملة وبيت لحم وبيروت وامر ان تخفض الغرامات على زوار الاراضي المقدسة وكتبت معاهدة بهذه الامور كلها امضاها السلطان والسفير معاً (١)

« وفي سنة ١٥٠٣ اغرق الاسطول البرتوغالي تحت قيادة غاما الرحالة الشهير بعض مراكب تجار مصر كانت مشحونة بالافاويه من الهند وراجعة الى السويس فنهب البرتغاليون

(١) الخطاب الذي القاهُ السفير امام السلطان في المقابلة الاولى والمعاهدة التي وقعاها يديهما ومهريهما لم تزل الى الآن محفوظة في مكتب السجلات القديمة بالاسكوريال (في مدريد) وقد طبعت سنة ١٥٢٢

ما فيها من البضائع ثم اغرقوها وكان بينها مركبان للسلطان الغوري نفسه . فلما بلغهُ هذا النبأ احتدم غضباً وامر بمصادرة التجار الافرنج في بلاده الاَّ انهُ رأى بعين بصيرته الثاقبة ان يرسل سفيراً من قبله ليقابل ملك فرنسا ودوج جمهورية البندقية والبابا يوليوس الثاني في رومية وملك ارغون ويحملهم على مخاطبة ملك البرتوغال لينهي اسطولهُ عن التعدي على المراكب المصرية فاذا رفض هذا الامر اضطر السلطان ان يقفل كنيسة القيامة في اورشليم وكل كنائس الافرنج في سوريا وفلسطين . واختار لهذه المهمة الاخ ماورو رئيس رهبان القبر المقدس . فذهب هذا السفير الى البندقية اولاً فاستقبل باحتفاء لكونهِ نائباً عن سلطان عظيم واجتمع اعضاء الجمهورية العشرة وقرأوا رسائل الغوري ورأوا انهُ محق في شكواهُ ومطالبهِ الاَّ انهم قالوا ان ليس لهم سلطة على ملك البرتوغال ولكنهم زودوا السفير بالرسائل الى البابا وملوك اوربا موصين بتلبية مطالب الغوري — فعلموا ذلك خوفاً على تجارتهم وتجارهم في مصر . ثم ذهب السفير الى رومية وقابل البابا يوليوس الثاني فلما قرأ الرسائل هالهُ تهديد الغوري بانقفال كنائس فلسطين وسوريا فكتب الى ملك البرتوغال يطلب منهُ الاَّ يتعرض بسوء للمراكب المصرية ثم ذهب السفير الى اسبانيا وفرنسا وقابل ملكيها ورجع الى مصر حاملاً الهدايا الكثيرة والرسائل الودية من البابا وملوك اوربا فسر السلطان بنجاح عملهِ

« وفي السنة التالية حدثت حوادث اخرى نقضت جميع المواثيق السلمية بين السلطان الغوري والافرنج وسبب ذلك انهُ ارغم التجار البندقة في الاسكندرية ومصر ان يشتروا البضائع الهندية باثمان غالية جداً فلم يقبلوا وكانت مراكبهم راسية في ميناء الاسكندرية ورباتوها ينتظرون الاتفاق بين السلطان والتجار واطلعوهم لشحن البضائع فلما رأوا هذا التضييق من الغوري اقلعوا بمراكبهم راجعين الى بلادهم قبل اتمام الشحن فهاج غضب السلطان لذلك . ثم ان الاسطول البرتوغالي عاد الى التعدي على المراكب المصرية الراجعة من الهند الى السويس واغارت حكومة فرسان دورس بمراكبها على ميناء الاسكندرية واسرت بعض مراكب لمسلمين وكان فيها بعض حجاج المغاربة فامر السلطان الغوري بالقبض على قناصل فرنسا والبندقية والتجار الافرنج في الاسكندرية وحجز بضائعهم وممتلكاتهم واحضارهم الى مصر مكبلين بالحديد . ولما وصلوا امر بوضعهم في سجن المقشرة . ولما كان الطاعون وقتئذٍ متفشياً بمصر مات كثيرون منهم بالوباء

« ثم تداخلت بعض الدول في الصلح فهمد غضب السلطان وامر بالافراج عنهم . وحدثت بعد ذلك حوادث اخرى اعظم من هذه . وهي ان السلطان ارسل مراكبهُ وعددها ثلاثون

مركباً الى غاليبولي وسواحل الاناضول لشحن الاخشاب وبعض الذخائر الحربية المرسلة من سلطان الاتراك في ادرنة بواسطة الوزير الشهير كمال بك رئيس العمارة التركية. فالتقى بها بعد خروجها من الاسكندرية بيومين اسطول فرسان رودس وحدثت معركة بحرية هائلة بين الاسطولين انتصر فيها اسطول الفرسان واحترقت اكثر المراكب المصرية وغرقت والباقي اسر. فلما سمع السلطان الغوري بهذا النبأ الاليم امر بحجز كل مراكب الافرنج الموجودة في ثغور سوريا ومصر والقبض على كل التجار وقناصلهم في الاسكندرية والشام والقدس وتحجز بضائعهم ومصادرتها. وامر بالقبض على كل رهبان القبر المقدس في اورشليم وباقفال اديرة القدس وبيت لحم وبيروت ودمشق وكنائسها وبتعذيب رئيس دير جبل صهيون والقبر المقدس ولم ينجوا من الموت الا بعد ان سلما الى نائب السلطان الآنية الذهبية والفضية التي في الكنائس وخزينة القبر المقدس السرية وكان فيها نحو تسعة آلاف درقة ذهب. وانقطعت التجارة والعلائق بين مصر واوربا وتحملت جمهورية البندقية معظم الضرر والخسارة لان اكثر تجار مصر من رعاياها وتوقفت اسواقها في مدينة البندقية. وكان التجار الالمان والفلمنكيون والفرنسويون والايطاليون يفدون من انحاء اوربا الى هذه المدينة لمشترى البضائع المصرية والاقاويه الهندية في مواسم الاسواق العمومية فيبدونها مقفلة. فتضايقت اوربا من جراء ذلك وعزم لويس الثاني عشر ملك فرنسا مع دوج البندقية على ارسال سفراء لمفاوضة السلطان الغوري وتقرير السلام بينهم وبينهُ وارجاع التجارة الى مجاريها

« وفي سنة ١٥١١ قبض حاكم برجيك في بلاد بين النهرين وهو نائب سلطان مصر على رجل روسي آت من بلاد ايران فنتشهُ فوجد معهُ رسائل من اسماعيل شاه صاحب الدولة الصفوية الى توماس كونتارين قنصل البندقية في الاسكندرية والى بتروزان قنصل هذه الدولة في دمشق فارسل الحاكم هذا الرجل الروسي مع الرسائل التي وجدت معهُ الى نائب السلطان في حلب وهذا ارسلها الى مصر فلما اطلع السلطان الغوري على تلك الرسائل وكان بينهُ وبين اسماعيل شاه عداء ونفور عدَّ هذا الامر من القنصلين مؤامرة على حياتهِ وعلى سلطنتهِ فاشتد غضبهُ وامر ان يقبض عليهما في الاسكندرية ودمشق ويوثق بهما مكبلين بالحديد. فلما وصلا الى مصر احضرهما امامهُ واوسعهما اهانة وتهديداً وكاد يامر بقتلهما الا انهُ لم يفعل بل امر بسجنهما في القلعة

« وبعد هذا الحادث فترت العلاقات بين مصر واوربا وانقطعت التجارة انقطاعاً تاماً

واقفلت الاماكن المقدسة في وجه كل الزوار الافرنج . فاقلقت هذه الحالة تجار البندقية فارسلوا الوفود الى حكومتهم يلتمسون منها ان تهتم باعادة الصلات السلمية بينها وبين سلطان مصر فاهتمت حكومة الدوج اهتماماً عظيماً بهذا الامر وخصوصاً لان اسواقها في البندقية اقفلت كلها فعزمت ان ترسل سفارة مطلقة السلطة الى مصر لاعادة الصلات السلمية والتجارية بينها . وكذلك لويس الثاني عشر عزم اجابة لتوسل الرهبان والتجار وطلب الباب علي ارسال سفارة فرق العادة الى السلطان الغوري مصحوبة بالهدايا الثمينة يرجوه بواسطتها اعادة الصلات الحبية وان يأمر بفكاك الاسرى والقناصل وبفتح كنائس الاراضي المقدسة للزوار . وكانت سفارة فرنسا مؤلفة من الشفالير الكونت اندرا دي دوا مدير الخزينة الملوكية ومعهُ حاشية كبيرة وهدايا كثيرة ويصحبهم تجار كثيرون

« واما جمهورية البندقية فاستقر رأيها على ارسال سفارة اهم من سفارة فرنسا فعهدت في هذه المأمورية الى السنيور دومينيكو تريفيزان احد الاعضاء العشرة وكان قد انتدب قبلاً لسفارات كثيرة في ممالك اوربا وهو من اعظم رجال العصر ذكاء ودهاء حتى استمال اليهِ السلطان الغوري وحازت سفارتهُ لديهِ محل الاحترام والثقة مما لم تنلهُ السفارة الفرنسوية التي وصلت قبلهُ . ومر السلطان كثيراً عند ما وصلت هاتان السفارتان لانهُ كان يود اعادة الصلات التجارية والسلمية بينهُ وبين اوربا بعد ان انقطعت مدة طويلة وتوقفت التجارة المصرية وكسدت اسواقها وأقفرت مخازن تجارها »

وكانت سفارة البندقية مؤلفة من حاشية كبيرة ومعها هدايا ثمينة فاخرة الثمن من هدايا فرنسا ولم يخجل السفير الفرنسوي في مهمته الجوانح المطارب كما نجح سفير البندقية . وكان سكرتير هذه السفارة احد النبلاء المدعو زكريا باغاني كتب مطولاً عن رحلة السفير ووصوله الى الاسكندرية وكيفية مقابلته للسلطان وما جرى لهذه السفارة من الحوادث الغريبة . وكان باغاني هذا قد رسم صورة السلطان قانصوه الغوري رسماً متقناً وحفظت هذه الرحلة مع الصورة الاصلية في متحف البندقية . طبعت فيها اولاً سنة ١٥٣٥ وثانياً سنة ١٥٩٨ . وفي فرنكفورت سنة ١٥٩٦ . وقد صدرت هذه المقالة بهذه الصورة الاصلية منقولة من كتاب قديم للسائح تود طبع في القرن السادس عشر

سفارة البندقية الى مصر

قررت حكومة البندقية ارسال سفارة سامية مفوضة السلطة الى سلطان مصر الملك الاشرف قانصوه الغوري لتوطيد السلام والوئام بين الحكومتين وحمل السلطان على اطلاق

سراح القناصل المعتقلين وفتح كنائس الاراضي المقدسة واعادة الصلات التجارية . فانتدبت لهذه المهمة الشفالير النبيل دومينيكو تريفيزان احد الاعضاء العشرة لهذه الدوقية واصحبته بعشرين رجلاً من النبلاء والكتبة والاتباع والحاشية وارسلت معهُ الصلات والهدايا الثمينة الى السلطان وحرمهِ ووزرائهِ وعينت لهُ ثلاثة آلاف دوقة ذهب لنفقات اسفارهِ وثلاثمائة دوقة مرتباً شهرياً اثناء رحلتهِ (الدوقة قطعة الذهب البندقي المعروف) وكان بين رجال هذه البعثة السنيور زكريا باغاني سكرتير السفارة الاول كاتب هذه الرحلة فقال :

« انا زكريا باغاني من مدينة بلوفي من اعمال البندقية عينتني حكومتي المعظمة سكرتيراً للشفالير النبيل حامل وسام القديس مرقص الشريف السامي دومينيكو تريفيزان المنتدب معتمداً سامياً وسفيراً مفوضاً لدى سلطان مصر قانصوه الغوري

« في اليوم الثالث والعشرين من شهر يناير سنة ١٥١٢ ركبنا بعون الله وتوفيقهِ من مدينة البندقية (فينيسيا) في قوارب كبيرة الى جزيرة بوليا حيث كان الاسطول البندقي راسياً تحت امرة السنيور النبيل بالدينو كونتاريني امير ال البحر . وكان السنيور السر ديمقراطي دارتا ربان مركب السفارة وهو من اكبر مراكب الاسطول البندقي ويبلغ طولهُ مائة وخمسين قدماً ورئيسهُ البحار الكبير السر زان الكريتي . وبعد ان جهزنا معدات السفر وشحنا المؤن والهدايا والامتعة اقلعنا من جزيرة بوليا في ٢٦ من الشهر المذكور عند الفجر وفي اليوم الثاني من فبراير وصلنا الى مدينة قورا وفي ٢٥ منهُ وصلنا الى ثغر دورازو وهو مدينة تركية كانت فيما سبق آهلة عامرة واسعة التجارة ترد اليها كل حاصلات الاقليم الالباني وتصدر الى ثغور الادرياتيك وايطاليا وجزائر الروم الا انها اصبحت الآن خراباً واكثر سكانها هاجروا الى الجزر اليونانية والثغور الايطالية فراراً من ظلم حكامها وجورهم . ولما رسا بنا المركب هناك اقبل الحاكم التركي مع عشرة من الموظفين والقاضي ومدير الامن لتحية السفير فاستقبلهم سيادتهُ بالترحاب ودعاهم للغداء معهُ على مائدتهِ ولما رجع الحاكم الى مقره ارسل الى السفير هدية مؤلفة من تخل صغير وعشرة ارغفة كبيرة وثمكنين كبيرتين ملحتين فارسل لهُ السفير بدلها شيئاً من الاثمار والمربيات والمشروبات

« اقلعنا من دورازو الى جزيرة كورفو وفي هذه الجزيرة كثيرون من اليهود الا انهم فقراء صعاليك وكان في مرفاها ثلاثة مراكب تجارية وصلت من الاسكندرية قاصدة مدينة البندقية المحروسة من الله وكلها مشحونة باكياس الافاويه واصناف العطر والبضائع المصرية وهي تحت امرة اربان الشريف جاكومو ميكاليلي . ولما كانت هذه المراكب خاصة

بحكومة البندقية امر السفير ان ينضم مركب منها الى اسطوله ليقوم بتفتيش احتياطاً من سطو مراكب قرصان البربر يعني تونس والجزائر . وقيل لنا انها تجول دائماً في البحر الروماني للنهب والسلب وسبي النساء . وفي ٢ مارس اقلعنا من كورفو واجتزنا بورتو لانغو وسان نيكولا على الشواطئ الالبانية ثم اقبلنا على جزيرتي باكسو وسانتا مامورا على خليج ارطه ومررنا بجزيرة كيفالونيا وجزيرة ايثاك وطن هوليس وجزيرة زانتا وهي تابعة لدوقيتنا السامية . وفي ١٣ منهُ اقلعنا من هناك ومررنا بجزيرة سايبانسا وهناك هطلت علينا الامطار وثارت الانواء والعواصف فاضطررنا ان نلتجئ الى ثغر بورتو بورتو ومكثنا ستة ايام الى ان سكنت الانواء وصحا الجو . وكان الخبز قد فرغ فارسلنا بعض البحارة الى هذه البلدة ومعهم مقدار كبير من الدنيق ليجنوهُ ويخبزوهُ في افرانها فوجدوها خربة خاوية من سكانها الذين هجروها من ظلم حكامهم الاتراك وجأوا الى الجبال والاودية فدخلوا بعض البيوت فلم يجدوا فيها احداً فاضطروا ان يرجعوا بالدنيق . واهالي هذه البلاد يدفعون الى الحكومة عشر الحاصلات والاثمار والمواشي الا ان الحكام الذين يأتون من عاصمة السلطنة يرهقونهم ظلماً وعسفاً ويأخذون منهم اكثر من نصف حاصلاتهم ومواشيهم فاضطروا ان يهجروا بلادهم ويأووا الى الجبال

« وفي ٢٣ منهُ اقلعنا من بورتو بورتو فاجتزنا راس ماتابان ومررنا بثغور المورة وكل هذه البلاد خرائب دارسة لان اهلها الاروام هجروها تخلصاً من ظلم الحكام الاتراك . ثم مررنا بجزيرة سريجو وهي من املاك دوقيتنا المعظمة ووطن سيلاس ملك اليونان وزوجتهُ هيلانه التي خلفها باريس من بريام ملك تروادة كما جاء في الياذة هوميروس

« وفي صباح اليوم الخامس والعشرين من مارس بلغنا جزيرة كريت ونزلنا في ثغر خانيا وهو الآن خراب باكثر ابنيته متهدمة بسبب الزلزلة التي حدثت فيها منذ اربع سنين اي في ٢٩ مارس سنة ١٥٠٨ . فهدمت قصورها الفخمة ودكت معالمها ولم يتجدد فيها الآن سوى جزء قليل من بيوتها . واما كاتدرائيتها العظمى المؤسسة على اسم القديس بولس الرسول حامي الجزيرة فقد ثبتت قائمة سليمة رغماً عن الزلزال الشديد . ومما يستحق الذكر ان حماة الحاكم جيرولامو بلغت من العمر المائة والعشرين ولم تزل حية وقد رأيت احفادها الى خمسة اجيال »

ديمتري نقولا